امبراطورية فى المنفى
ثيودور لاسكاريس
واحياء الامبراطورية البيزنطية فى نيقية

دكتـــوره
إســمت غنيــم
جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

فى عام ١٢٠٤ ، تم للصليبيين اللاتين فتح القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية البيزنطية وحاملة لواء المسيحية فى الشرق منذ تأسيسها على يد قسطنطين الأكبر فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى وحتى ذلك الوقت من بداية القرن الثالث عشر . وقد كان ذلك الحدث بالنسبة للبيزنطيين ، الزلزال العنيف ، والطوفان المدمر ، الذى أتى على الأخضر واليابس . لقد فقد والعاصمة الأم ، ملكة المدن ، مركز العالم الأرثوذكسى باجمعه ، المشموله برعاية وحماية السيد المسيح والسيدة العذراء ، هذا الأمر الذى كان من العسير على البيزنطيين تصديقه . وقد اعتبر المعاصرون منهم ذلك علامة على غضب الله ، وعقابا لهم على آثامهم وخطاياهم وشقاقهم .

وعلى اشلاء الامبراطورية البيزنطية الممزقة قامت ممالك لاتينية ، وفازت البندقية بنصيب الأسد ، كما أسس البيزنطيون ثلاث ممالك لهم كانت ابرزها امبراطورية نيقية البيزنطية، التى قامت بالدور الأعظم والأهم فى المكافحة والنضال ضد العدو اللاتينى الذى جثم على انفاس عاصمتهم ، حتى تم لهذه الأمبراطورية استعادة العاصمة البيزنطية من يد مغتصبيها فى عام ١٢٦١ ، وبعد فترة صراع ونضال استمرت على امتداد عهود الاباطرة الذين تولوا الحكم فى نيقية .

ويعود الفضل الأكبر فى تأسيس امبراطورية نيقية البيزنطية ، الى تيودور الأول لاسكاريس الذى ناضل نضالا عنيفا حتى تمكن من تأسيس حكمه فى نيقية ، وارسى قواعد البناء اليونانى الأرثوذكسى فى هذه المدينة ، التى اتخذها ملاذا ومستقرا ومركزا وقاعدة يقود منها حركة المقاومة ضد العدو اللاتينى .

وقد وفق تيودور فى جهوده الى حد كبير ، وسار خلفاؤه على نهجه ، وتوسموا خطاه ، وقد عاشوا جميعا ، وعملوا جميعا ، من أجل تحقيق هذا الهدف الذى

وضعه تيودور الأول لاسكاريس صوب أعينهم ألا وهو استعادة العاصمة الأم ، وعودة (الأمبراطورية المنفية) الى مقرها الرسمى فى عاصمة قسطنطين .

وهذا البحث يعرض للدور الكبير والهام الذى لعبه تيودور الأول لاسكاريس فى سبيل لم شمل العناصر البيزنطية ، بعد الضربة العنيفة التى نزلت بهم ، وزلزلت كيانهم ، وتأسيسه للبطريركية الأرثوذكسية فى نيقية خلفا للبطريركية الأرثوذكسية فى القسطنطينية ، ومختلف جهوده العسكرية والسياسية من أجل استعادة العاصمة الأم .

وقد استلزمت هذه الدراسة الاستعانة بعدد كبير من المصادر سواء البيزنطية أو اللاتينية الغربية . وفيما يتعلق بالمصادر البيزنطية فأولها زمنا كتاب المؤرخ البيزنطى المعاصر نقيتاس خونياتيس Nicetas Choniates المسمى Historia ، نظرا لأنه كان معاصرا للاحداث الخاصة باستيلاء اللاتين على القسطنطينية فى عام ١٢٠٤ وتأسيس تيودور الأول لاسكاريس لملكه فى نيقيه . وقد انتهى هذا التاريخ عند عام ١٢٠٦ م ونشر هذا الكتاب فى عام ١٨٣٥ فى مجموعة بون البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (C.S.H.B.) وفى تقييم هذا المؤرخ ، يقول اوستروجورسكى Ostrogorsky ، أنه يمتاز بنظرة شاملة وقوة حقيقية تعينه على أن يقدم وصفا حيا للاحداث ، وهى ميزة ينفرد بها وتجعله الاكثر لمعانا بين مؤرخى التاريخ البيزنطى بعد بسيللوس [1] .

أما مؤرخ امبراطورية نيقية البيزنطية بحق فهو جورج اكروبوليتيس George Cropolites (١٢١٧—١٢٨٢) الذى ترك بصمات واضحة على كلا الصعيدين كرجل دولة ، وعالم ومفكر ، فكان معلما خصوصيا لولى العهد تيودور الثانى

(1) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, Translated by Hussey, Oxford, 1968, pp. 352-353.

وللمزيد عن نقيتاس خونياتيس راجع :
أحمد عتيق : الحملة الصليبية الرابعة وسقوطه الخرافى ضد القسطنطينية ، دار المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص.ص ٩—١٠

لاسكاريس الذى تولى عرش نيقية فى الفترة (١٢٥٤—١٢٥٨) ، ولقد حضر اكروبوليتيس مجمع ليون فى ١٢٤٥ نائبا عن الامبراطور البيزنطى فى نيقية يوحنا فاتاتزيس (١٢٢٢—١٢٥٤) ، ورئيسا للوفد البيزنطى فى المجمع . وفى عام ١٢٤٦ أصبح المستشار الأعظم Grand Logothate ، ثم عينه تلميذه الامبراطور ثيودور الثانى لاسكاريس بعد توليه العرش فى ١٢٥٤ واليا على الأراضى التابعة لامبراطورية نيقية فى الجانب الأوربى واتخذ سالونيكا مقرا له وظل فى منصبه حتى عام ١٢٥٧ .

وكتابه الذى يعرف باسم Opera نشره Heisenberg فى مدينة Leipzig عام ١٩٠٣ .. وقد اعطى فيه اكروبوليتيس وصفا واضحا للاحداث السياسية التى جرت منذ استيلاء اللاتين على القسطنطينية فى عام ١٢٠٤ وحتى استرداد البيزنطيين لها فى ١٢٦١ .

هناك أيضا المؤرخ البيزنطى نقفور جريجوراس Nicephorus Gregoras (١٢٩٥—١٣٥٩) الذى كان قريب العهد بهذه الأحداث ، ويعتبر كتابه المسمى Historiae Byzantinae الذى نشر فى مجموعة بون البيزنطية C.S.H.B. فى عام ١٨٢٩ ، تكملة لتاريخ اكروبوليتيس اذ تناول فيه جريجوراس الأحداث منذ عام ١٢٠٤ وحتى تاريخ وفاته فى ١٣٥٩ .

أما بالنسبة للمؤرخين اللاتين الذين تناولوا أحداث هذه الفترة فأهم ما يذكر منهم المؤرخان المعاصران جيوفرى فيلهاردوين Geoffery Villehardouin وكتابه عن « فتح القسطنطينية بواسطة البارونات الفرنسيين ومشاركة البندقة فى عام ١٢٠٤ » .

La Conqueste de Constantinople for les Barons Francais. associez aux vemtians l'an 1204.

وكذلك روبرت كلارى Robert de Clari الذى كتب عن « فتح القسطنطينية La Conquete de Constantinop, »[1] .

(١) فيما يتعلق بالمؤرخين جيوفرى فيلاردوين وروبرت كلارى وتقييم تاريخهما لهذه الفترة ، راجع : إسعت خيرى : الحملة الصليبية الرابعة . ص ص ٦—٩

هذا بالإضافة للعديد من المراجع الحديثة لكبار المؤرخين الذين تناولوا عصر ثيودور لاسكاريس ضمن عرضهم للتاريخ البيزنطى بصفة عامة ، لأنه لم يظهر حتى الآن بحث قائم بذاته باللغة العربية أو باللغات الأجنبية ، عن عصر ثيودور الأول لاسكاريس . فهذا البحث يعتبر أول بحث يلقى الضوء على عصر هذا الأمبراطور والدور الذى لعبه من أجل استعادة العاصمة البيزنطية القسطنطينية من يد اللاتين ، ويغطى مرحلة هامة من التاريخ البيزنطى لم يزح عنها الستار حتى الآن .

والله الموفق ...

اسمت غنيم

لوزان : ٧ يناير ١٩٨٧ م

لقد تميزت هذه المرحلة من تاريخ الدولة البيزنطية بالتعقيد الشديد نظرا لتشابك الأحداث السياسيه فى هذه المنطقة من شرق أوروبا وغرب آسيا الصغرى وتعدد العناصر التى ساهمت بنصيب وافر فى هذه الأحداث

فقد نجح اللاتين الغربيين فى اسقاط العاصمة العريقة القسطنطينية فى عام ١٢٠٤ وأقاموا ممالك لهم على انقاضها كانت هى ــ الأمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ــ مملكة سالونيكا امارة آخيا Achaia فى البلوبونيز ، ودوقية آثينا وتيبس فى وسط بلاد اليونان . أما البندقية فقد انتشر نفوذها فى جزء من القسطنطينية يبلغ $\frac{3}{8}$ المدينة والجزر البيزنطية فى البحرين الايجى والايونى ، وجزيرة كريت ، وعدد من الاماكن الساحلية والداخلية[1] .

على أن الطبقة الارستقراطية البيزنطية ، التى فرت من العاصمة بعد سقوطها فى يد اللاتين الغزاه نجحت فى تأسيس ثلاث مراكز بيزنطية ، ففى الشمال الغربى لبلاد اليونان خلف جبال بندوس Pindos وحول أرتا Arta وضع ميخائيل انجيلوس (١٢٠٤ــ١٢١٥) اساس امارة ايبروس Epirus .

وعلى الساحل الجنوبى للبحر الأسود أسست امارة طرابيزون تحت حكم اليكسيوس وداڤيد كومنينوس ، اكبر ابناء الامراطور اندرونيكوس الأول كومنينوس (١١٨٣ــ١١٨٥) الذى كان قد ارتبط برابطة المصاهرة مع البيت الملكى فى جورجيا ، وفى ابريل ١٢٠٤ نجح كل من اليكسيوس وداڤيد بمساعدة خالتهم الملكة الشهيرة تمارا Thamar (١١٨٤ــ١٢١٢) فى الاستيلاء على طرابيزون ، وظلا

(1) Villehardouin: La Conqueste de Constantivople par les Barons Francais associez aux venitians l'an 1204, English by Sir Marziala, London, 1963, P. 69.

Gregoras: Historiae Byzantivae, ed. weberi, Bonn, 1829 PP. 14-16.

wolff (L.): Studies in the latin Empire of Constantivople, London, 1976, PP. 190-195.

Ostrogorsky: op. cit., PP. 423-424

Whitting (Ph.): Byzantium, Oxford, 1981, P. 113.

هى ملكة جورجيا ، وقد خلفت والدها الملك جورج الثانى (١١٥٦ــ١١٨٤) على العرش ، ويعود اليها الفضل فى تأسيس الشخصية الجورجية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، وقد وصلت جورجيا تحت حكمها الى درجة كبيرة من القوة والاتساع حتى شملت معظم بلاد القوقاز ، كما تمتعت = البلاد فى عهدها بحضارة راقية . حيث شجعت الفنانين والكتاب والعلماء الذين هرعوا الى بلاطها من

يتقدمان على طول الساحل الغربى للبحر الأسود ، فاستوليا على سينوب Sinope ، وپلاجونيا Paphlagonia وهرقلية البنطية Pontive Heraclea[1] .

أما ثيودور لاسكاريس فقد استطاع بعد جهد وعناء من تأسيس مملكة عرفت باسم امبراطورية نيقية البيزنطية ، كانت مدينة نيقية فى آسيا الصغرى عاصمتها ، وقد نافسه فى هذه المنطقة الأتراك السلاجقة الذين اتخذوا من قونيه عاصمة لسلطنتهم .

فضلا عن ذلك ، كان هناك الامبراطورية البلغارية ، التى ظهرت فى عام ١١٦٨ م . والتى كان على رأسها فى ذلك الوقت القيصر جوهانيتزا Joannitsa أو كالوجان Kalojan (١١٩٧—١٢٠٧) ، ثم جاء من بعده بوريل (١٢٠٧—١٢١٨) ، ثم يوحنا آسن الثانى John Asan II (١٢١٨—١٢٤١)[2] .

كل هذه العناصر المختلفة من فرنجه لاتين ، ويونان بيزنطيين ، واتراك وبلغار ، أسهموا مساهمة فعالة فى الحياة السياسية المعقدة التى تلت عام ١٢٠٤ ، وامتلأ القرن الثالث عشر الميلادى ، بالصراع بين هذه العناصر المختلفة . فاليونان البيزنطيون ناضلوا ضد اللاتين ، كما دخلوا فى صراعات بين بعضهم والبعض الآخر ، بعد أن تنافست هذه الأمارات البيزنطية الثلاث حول زعامة الشعب البيزنطى ، كما كافحوا أيضا ضد البلغار والاتراك . واللاتين حاربوا ضد البيزنطيين كما حاربوا ضد البلغار . وكان للبلغار هم أيضا طموحاتهم واطماعهم فى

مختلف الانحاء ، وقد أتت سياستها نتائجها الطيبة فى عهد خليفتها الملك جورج الرابع (١٢١٢—١٢٢٣)= الذى اعتبر عهده العصر الذهبى لجورجيا ، والذى حكم مملكة واسعة شملت بلاد القوقاز ، من البحر الأسود حتى بحر الكاسبيان الذى يقع بين حدود فارس آسيا وأوروبا ، وشملت مملكته كذلك الجزء الرئيسى من أرمينيا العظمى ، كما بلغت الحضارة الجورجية فى عهده قمتها ، وقد وقع المجوم المغول على مملكته فى السنة الأخيرة من حكمه راجع

Allen: A History of the Georgian People, 1932.

(1) Miller: The Empire of Nicaea and recovery of constantinople, in C.Med.H ed Bury, Vol. IV, 1923, PP. 479-480.
Angold: A Byzantive Government in Exile, 1204-1261, Oxford, 1975, P. 12.
Walter: La Ruive de Byzance (1204-1453), ed Albin, Michel, pichel, paris, 1958, P. 163.
Brehier: Vie et mort de Byzance, Paris, 1969, P 309
Ostrogorsky: op. cit., P 425.

(2) Wolff: The Second Bulgarian Empire, its Origin and History to 1204, Research in (Studies in the latin Empire of Constantinople), chapter III, PP 167-206.

القسطنطينية منذ زمن بعيد ، وجاء استيلاء اللاتين عليها فى عام ١٢٠٤ ، والنهضة التى بلغتها دولة البلغار فى هذه الآونة ، مجددا لآمالهم فى الاستيلاء على عاصمة قسطنطين .

وقد أدت كل هذه التعقيدات السياسية والعسكرية ، الى قيام تحالفات عالمية محدودة قصيرة الأجل ، كانت تبدأ ببساطة ، وتنتهى ببساطة مماثلة ، وكما قال المؤرخ الألمانى نيومان Neumann « كل هذه الحكومات الأجنبية فى الشرق ، لم يكن رد فعلها الابداع ، وإنما التحطيم ... يضاف لذلك انهم هم انفسهم قد حُطموا ، وبقى الشرق سيدا على الشرق »(١) .

ولم يبعد نيومان عن الحقيقة ، فرغم كل هذه الصراعات العسكرية والسياسية ، ورغم تعدد العناصر فى هذه المنطقة من شرق أوروبا وغرب آسيا الصغرى ، الا أن الشرق ممثلا فى البيزنطيين تمكن من طرد هؤلاء الغزاة ، واستعاد سيادته على أراضيه من جديد .

ويعود الفضل فى ذلك الى امبراطورية نيقية البيزنطية ، التى لعبت الدور الكبير والهام فى النضال ضد مختلف العناصر ، وخاصة اللاتين ، حتى تمكنت بالفعل من استعادة العاصمة القسطنطينية فى عام ١٢٦١ .

ففى الوقت الذى أوشك فيه الصليبيون أن يقتحموا القسطنطينية فى ١٢ أبريل عام ١٢٠٤ ، كانت تجرى بعض المراسم فى كنيسة آيا صوفيا لانتخاب امبراطور جديد ، بعد فرار الامبراطور اليكسيوس الخامس مرزفلوس Murtzuphlus عام (١٢٠٤) . وقد وقع اختيار رجال الدين وعلى رأسهم بطريرك القسطنطينية John Camaterus على ثيودور لاسكاريس ليتولى العرش ، ولكن وقبل أن يتم تقليده بالشارات الامبراطورية ، ونظرا لخطورة الموقف قام ثيودور بمحاولة للم شمل المدافعين عن العاصمة ، وحينما رأى أنه لا فائدة من المقاومة وأن كل شىء قد انهار ، فر مع زوجته وبناته الثلاث وعبر بحر مرمره الى آسيا الصغرى .

(1) Neumann (C.): "Die Byzantinische Mutive", Historische Zeitschrift, LXXXX, 1898, PP. 1-2.

وهكذا فقد امتاز ثيودور لاسكاريس عن غيره من الحكام البيزنطيين الذين اسسوا لهم ممالك سواء فى ابيروس أو طرابيزون ، امتاز عنهم جميعا ، بانه تم اختياره امبراطورا شرعيا للبيزنطيين بواسطة رجال الدين وعلى رأسهم البطريرك ، وفى كنيسة آيا صوفيا ، الكنيسة الرئيسية فى الامبراطورية ، كما أنه يمت بصلة المصاهرة مع البيت الملكى البيزنطى الذى كان يحكم قبل فتح اللاتين للقسطنطينية ، وهو آل انجيلوس ، فقد كان متزوجا من آنا Anna ابنة الامبراطور اليكسيوس الثالث انجيلوس (١١٩٥ــ١٢٠٣) . وكان ثيودور لاسكاريس فى ذلك الوقت فى الثلاثين من عمره ، وكان يشغل منصب القائد فى الجيش البيزنطى ، وقد ابلى بلاءا حسنا فى الحرب ضد البلغار ، وكذلك فى مقاومة حصار الصليبيين للعاصمة البيزنطية فى عام ١٢٠٤[1] .

بعد وصول ثيودور لاسكاريس الى آسيا الصغرى ، وقع اختياره على مدينة نيقية ليتخذها ملاذا يلوذ به ، ومركزا يقود منه حركة المقاومة ضد اللاتين . والواقع أن اختياره لمدينة نيقية بالذات يدل على بعد نظر ، وسعة أفق ، نظرا لقربها من العاصمة القسطنطينية ، فبينهما مسافة لا تتجاوز الأربعين ميلا فقط ، مما يجعله قريبا من اللاتين يستطيع أن يراقب تحركاتهم ، ويقلق راحتهم .

وتقع هذه المدينة فى اقليم بثينيا فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى ، وتشرف على بحيرة اسكانيوس Ascanius ، وكان قد بناها الملك انتيجونوس Antigonus فى عام ٣١٦ ق.م. ، وأطلق عليها اسم انتيجونيا Antigonia نسبة إليه . ثم جاء الملك ليسيماخوس Lysimachus وغير اسمها الى نيقية Nicaea نسبة إلى اسم زوجته . وفى أيام الامبراطورية الرومانية ، اصبحت نيقية ونيقوميديا عاصمتى اقليم بثينيا . وقد وصف نيقية الجغرافى سترابو Strabo ، وقال انها بنيت على شكل المربع وبها بوابه فى كل جانب من جوانبها الأربعة . وفى أيام الامبراطورية البيزنطية ذاع إسم نيقية بعدما اتخذها الامبراطور قسطنطين الاكبر مقرا لانعقاد المجمع الدينى الأول فى عام ٣٢٥ م . الذى ناقش مشكلة الخلاف بين آريوس

(1) Miller: The Empire of Nicaea, P. 478
Nicol: The Fourth crusade and the greek and latin Empire 1204-1261, in C. Med. Hist. ed Hussey, Cambridge, 1975, Vol. IV P. 291.

واثناسيوس ، وظلت مزدهرة ، كثيرة الخيرات ، فقد امدتها سهول بيثينيا بالقمح ، والعنب ، على حين امدتها البحيرة القريبة منها بالأسماك ، كذلك توفرت بها المياه ، وكلل بها شجر السرو الذى جعل المدينة متعة للناظرين ، وقد امتازت بشوارعها الواسعة ، وكنائسها واديرتها العديدة التى مايزال بعضها قائما حتى الآن . كما كانت المدينة قوية التحصين عن طريق اسوارها القوية وابراجها المرتفعة وبواباتها المتينة ، التى ماتزال باقية حتى الوقت الحاضر[1] .

وفى عام ١٠٧٥ فتحها الاتراك السلاجقة واتخذوها عاصمة لممتلكاتهم فى آسيا الصغرى وظلت بايديهم اكثر من عشرين عاما حتى استعادها الامبراطور اليكسيوس كومنينوس فى عام ١١٩٧ بمساعدة صليبى الحملة الأولى وظلت تابعة للدولة البيزنطية حتى وصل اليها ثيودور لاسكاريس فى عام ١٢٠٤ وطلب من اهاليها اعتباره حاكمهم الشرعى .

على أن اهالى نيقية رفضوا استقباله واغلقوا بوابات مدينتهم فى وجهه ، وربما كان الدافع للاهالى على تصرفهم هذا هو خوفهم من انتقام اللاتين ، لذلك فقد اتجه ثيودور الى مدينة بروسا Brusa القريبة من نيقية واستقر هناك ، وعلى الفور التف حوله عدد كبير من اللاجئين البيزنطيين سواء من المدنيين أو رجال الدين الذين فروا من وجه اللاتين[2] . ولم يلبث اللاتين أن وجهوا قواتهم الى آسيا الصغرى لاحتلالها ، وهنا بدأ الصراع سافرا بين ثيودور لاسكاريس والقوات اللاتينية .

ذلك أن مدينة نيقية منحت لقب (دوقية) وكانت من نصيب واحد من

(1) Nicetas Choniates: Historia, ed. Weberi. Bonnae, 1835, P. 318

Villehardouin: La conquete de constantinople, P. 304.
Miller: The Empire of Nicaea, PP. 478-79.
Vasiliev: The Byzantine Empire, Vol II, PP. 512-513
Magie: Roman Rule in Asia Minor, 2 Vols, 1975.
Pears: The Fall of constantinople,. Being the story of the fourth crusade. New York, 1975, P. 33, P. 80.

(2) Georgii Acropolitae opera, ed. Heisenberg. I, P. II, II, P. 5 9, n7 18
Miller: Op. cit., P. 479
Nicol: The Fourth Crusade, P. 293

اكبر القادة فى الحملة الصليبية الرابعة وهو الكونت لويس اوف بلواوشارتر Count Louis of Blois and Charter الذى كان نبيلا ثريا ، وهو ابن اخت ملك انجلترا ، وقد لعب دورا هاما فى تنصيب بلدوين اوف فلاندرز كأول امبراطور لاتينى يتولى عرش القسطنطينية . وفى أول نوفمبر عام ١٢٠٤ أرسل الدوق الفرنسى لثيقيه اثنين من رجاله هما بور دى براكوى Burre de Bracheuil ، وبايين دى اورليان and Payen d'orleans مع قوة من ١٢٠ فارسا لامتلاك نصيبه فى آسيا الصغرى . وقد وصل هؤلاء جميعا الى مدينة بيجا Piga الواقعة على مضيق الدردنيل ، حيث أظهر الأهالى الترحيب بهم ، ثم احتلوا المدينة الهامة باندرما Panderma .

وقد كان لابد لثيودور لاسكاريس أن يدافع عن ملجأه الأخير الذى بقى له فى أرض آسيا الصغرى بعد أن احتل اللاتين العاصمة البيزنطية ، ووزعوا املاك الامبراطورية على انفسهم ، لذلك فقد جمع جيشا والتقى مع جيش اللاتين فى سهل امام قلعة بومانيفون Poemanivon فى ٦ ديسمبر عام ١٢٠٤ ، ولم يستطع لاسكاريس وجيشه الصمود امام اللاتين ففر ، وتمكن اللاتين خلال اسبوع واحد من الاستيلاء على عدة مواقع هامة فى هذه المنطقة ، مثل القلعة الحصينة بومانيفون Poemanivon ومدينة لوباديوم Lopadium التى كانت من اجمل مدن اقليم بيثينيا ، وقلعة بوليكنا Polychna وهى تقع على بحيرة جارية الماء ، وتعد واحدة من احسن القلاع واحصنها ، ثم حاصروا مدينة بروسا Brusa ملجأ ثيودور لاسكاريس ، ولكن المدينة كانت جيدة التحصين ، وقد هيأ لها ذلك موقعها الطبيعى القوى واسوارها المرتفعة ، لذلك فقد قاومت الحصار ، وقد شجع حصار اللاتين لبروسا الأهالى على الثورة ضد لاسكاريس ، خوفا من انتقام اللاتين اذا ساعدوا لاسكاريس ضدهم وخاصة أن فتوحات اللاتين ، وأولها فتحهم للقسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية نفسها ، وما تلاها من فتوحات فى الجانب الأوربى والجزر اليونانية وآسيا الصغرى ، قد اعطت الأهالى فكرة عن أن هؤلاء اللاتين لا يمكن قهرهم ، وأنه من الأسلم لهم أن يستسلموا خوفا من بطشهم .

كذلك تمكن هنرى شقيق بلدوين إمبراطور القسطنطينية اللاتينى ، من احتلال مدينة ابيدوس Abydos ، وترك بها حامية من رجاله ، ثم سار الى مدينة ادراميتيوم Adramyttium الواقعة على شاطىء البحر ، وبينها وبين ابيدوس مسيرة يومين فقط ، وقد استسلمت له المدينة التى كانت غنية بخيراتها كما استسلم له جزء كبير من الأقليم[1] .

وهكذا وقعت معظم مدن اقليم بيثينيا فى يد اللاتين ، وبدا وكأن البيزنطيين قد خسروا قضيتهم كذلك فى آسيا الصغرى . لكن وفى هذه اللحظات المصيرية الحاسمة ، وقعت احداث معينة كان لها أثر كبير فى تغيير مجرى الأمور ، وكانت هذه الأحداث خاصة بالصراع الذى اشتعل بين اللاتين من جهة وبين الارستقراطية البيزنطية فى تراقيا وقيصر البلغار جوها نيتزا من الجهة الأخرى ، وقد جاءت تلك الأحداث فى الوقت المناسب تماما لتخدم القضية البيزنطية وتنقذ لاسكاريس وآماله فى تنظيم المقاومة ضد الغزاة اللاتين واتخاذ آسيا الصغرى معقلا له يقود منها حركة المقاومة البيزنطية .

وتفصيل ذلك أن ملاك الأرض من الارستقراطيين البيزنطيين فى اقليم تراقيا Thrace أبدوا استعدادهم للاعتراف بسيادة اللاتين عليهم ، ومنحهم التأييد ، على أساس أن تظل ملكياتهم للأرض Promoiai ، كما هى فى ايديهم . لكن اللاتين رفضوا ، واكثر من ذلك ، أخذوا يعملون على استفزاز اليونان فى هذا الاقليم ، عن طريق تحقير العقائد والطقوس الدينية الأرثوذكسية ، مما اساء اساءة بالغة للشعب اليونانى فى تراقيا ، ودفعهم للالتجاء الى قيصر البلغار جوهانيتزا طالبين منه مساعدتهم فى التخلص من سيطرة اللاتين ومقدمين له التاج الملكى .

وقد جرت اتصالات سرية بين الطرفين ، قام خلالها بدور هام بطريرك القسطنطينية السابق يوحنا كاماتيروس ، الذى كان يقيم فى بلغاريا بعد فراره من القسطنطينية عقب فتح اللاتين لها ، وقد عمل كاماتيروس على تكوين حلف يونانى بلغارى فى عامى ١٢٠٤ــ١٢٠٥[2] .

(1) Villehardouin: La conquete de constantinople. PP. 83-84.

(2). Nicetas choniates: Historia, ed. Bonn, PP. 791-809.

وقد كان قيصر البلغار لديه الاستعداد لقيام مثل هذا الحلف ، بعد أن اساء اليه اللاتين هو الآخر . فبعد أن علم الملك البلغارى بفتوحات اللاتين على حساب الامبراطورية البيزنطية ، خشى على ممتلكاته من أن تمتد اليها يد اللاتين مثلما فعلوا مع البيزنطيين ، لذلك فقد أرسل الى البابا اينوسنت الثالث (١١٩٨ــ١٢١٦) يقول : « اكتب الى اللاتين لكى يبتعدوا عن امبراطوريتى ، واذا هم فعلوا ذلك ، فان امبراطوريتى لن تؤذيهم .. ولكن اذا هم قاموا بمحاولة ضدها ، وقتل البعض منهم ، فان هذا لن يكون خطئى »[1] .

وقد اراد جوهانيتزا أن يقيم علاقات ود وصداقة مع اللاتين فى القسطنطينية ، ولكن اللاتين ، بغطرستهم المعهودة ، أبوا ذلك ، وأوضحوا له أنه من غير اللائق أن ينظر الى الامبراطور اللاتينى على أنه نظير له ، وإنما يجب أن ينظر إليه على أنه سيدا له ، ثم وجهوا اليه انذاراً مضمونه ، انه إذا تهاون فى احترام الامبراطور بلدوين ، فانهم سوف يفتحون بلاده بحد السيف وقوة السلاح وسيعيدونها من جديد دولة تابعة ، كسابق عهدها مع بيزنطة[2] .

وهكذا قربت هذه الظروف بين البيزنطيين فى تراقيا وقيصر البلغار ، وجعلتهما حليفين يسعيان معا للدفاع عن ممتلكاتهما ضد خطر اللاتين .

ويعلن المؤرخ اسبنسكى Uspensky على هذا الحلف البيزنطى البلغارى يقول : « لقد وضع هذا الحلف حدا لتردد كالوجان ، وثبت خطته لتحركاته المقبلة ، واظهره كحامى للارثوذكسية ، وللشعبين اليونانى والبلغارى ضد سيطرة اللاتين الكاثوليك »[3] .

وهكذا اشتعلت الحرب بين قيصر البلغار ويؤيده البيزنطيون فى البلقان ، وبين اللاتين ، وانتشرت الثورة فى تراقيا ضد اللاتين ، واستولى البلغار وحلفاؤهم

(1) Wolff: Studies in the latin Empire of constantinople, chapter I, PP. 201-202.
Villehardouin: la conquete de constantinople, P. 57
Vasiliev: History of the Byzantine Empire, Vol: II, P. 509.

(3) Ostrogorsky: History of the second kingdom of Bulgaria
Uspensky (F.I): The Formation of the second Kingdom of Bulgaria, Odessa, 1879, PP. 245-246.

البيزنطيون على ديموتيكا التابعة للامبراطور بلدوين ، وهادريا نوبل (ادرنه) التابعة للبنادقة . عند ذلك عقد الامبراطور بلدوين مجلسا للتشاور مع دوق البندقية هنرى داندولو والكونت لويس اوف بلواوشارتر ، وتدارسوا الموقف واجمعوا على تكريس جهودهم كلها من أجل القضاء على هذه الثورة المسلحة ضد النفوذ اللاتينى فى البلقان ، وإلا فانهم سوف يخسرون كل ممتلكاتهم هناك . لذلك فقد ارسل الامبراطور بلدوين الى شقيقه هنرى الذى كان عند ادراميتيوم Adramyttium ، كما سبق أن أوضحنا ، لكى يترك فتوحاته فى آسيا الصغرى ويعود للمساعدة فى الحرب ضد البلغار . كذلك ارسل الكونت لويس اوف بلواوشاتر الى نائبيه فى آسيا الصغرى اللذين كانا عند لوباديوم Lopadium ، والى جميع رجاله لكى يتركوا فتوحاتهم فيما عدا بيجا Piga نظرا لاهمية موقعها على مضيق الدردنيل ، ويتركوا بها حامية صغيرة ويعود الجميع للمشاركة فى الحرب ضد البلغار[1] .

وقد توجه الامبراطور وباروناته ، ودوق البندقية ، والجيش اللاتينى الى هادريانوبل حيث حاصروها ، ويصف شاهد عيان هو روبرت كلارى ، ما تلى ذلك من احداث فيقول :

"..... Si Comme il Scoient esluce, este me Vous Un Jour on Jehans li Blaks, et il et li Commain, a tout malt grant gent, Venoient le tere de Coustantinoble, Si Comme il avoient autre fois fait; Si trouverent L'empereeur a toute s'ost seant a Andernople. Quant chil de l'ost virrent ches Commains a ches plichons vestus, Si ne les douterent ne prisierent nient plus que un trope d'enfans; et chil Commain et chele gent venoient grandesme aleure, Si Keurent il sus as Franchois, Si enochisent mout, Si les desconfissent il lous enchele batalle. Si fu perdus li empereres, que on ne Saut onques que il devint, et li cuens Loeis et molt d'autres haus hommes et tant d'autre gent que nous n'en Savons le nombre, mais que bien iperdi on trois chens chevaliers; et qui escaper peut, Si S'en vint fuiant en Coustantinople, Si que li dux de Venice S'en Vint fuiant et asses gens avec lui, et

(1) Villehardouin: La conquete de constantinople. P. 87.

laissierent leur tentes et leur harnas, tout Si Comme il seoient a chele chité, que onques n'oserent vertir chele part si i fu le desconfiture grans."[1]

وترجمة هذا النص باللغة العربية كالتالى : « وبينما كانوا معسكرين امامها (هادريانوبل) اذا بهم يبصرون فى أحد الأيام جون الوالاشى والكومان[2] فى جيش كبير ، قد جاؤا الى منطقة القسطنطينية ، كما فعلوا من قبل ، ووجدوا الامبراطور وجميع جيشه معسكرين امام هادريانوبل ، فلما ابصر رجال الجيش الكومان متدثرين بجلود ماشيتهم ، لم يخافوا منهم أو يعبأوا بهم ، اكثر من خوفهم من فرقة صغيرة من الأطفال ، فانطلق الكومان فى سرعة ، وكروا على الفرنسيين ، وقتلوا الكثيرين منهم وهزموهم جميعا فى هذه الموقعة ، وتفقد القوم الامبراطور ، فلم يعرف أبدا بعدئذ ما جرى له ، كما ضاع أيضا الكونت لويس وكثيرون غيره من كبار الرجال ، وحشد كبير لا نعرف لهم عددا ، وإن كان الهالكون ثلاثمائة فارس . أما الذين نجوا من القتل فقد فروا الى القسطنطينية ، كما فر دوق البندقية ومعه الكثيرون ، وتركوا معسكراتهم واسلحتهم كما كانت أمام المدينة ، لأنهم لم يجرؤا على الذهاب الى هذا الطريق ، ومن ثمة كان الهلاك عظيما » .

وليس ابلغ من وصف كلارى لهذه الحادثة ، فقد استخف اللاتين بقوة الملك البلغارى ومن معه من الكيومان ، وترتب على ذلك هذه الكارثه التى حلت

(1) Robert de Clari: La Conquete de Constantinople ed. for phillip lauer. Paris, 1924. P. 106.

(٢) ذكرهم كلارى باسم Commun ، لكن الاسم الصحيح لهم هو كيومانز Cumans أو بولوفتسى Polovtsy ، وهم قبائل تركية بدوية ، يرجع اصلهم الى وسط آسيا . وابتداء من القرن الخامس الميلادى وحتى القرن الثامن رحلوا من مواطنهم بواسطة قبائل أخرى . وقد اندمج بعض الكيومان مع عنصر المجر بينما نزح بعضهم الآخر إلى السهول الجنوبية لروسيا خلال القرن العاشر

وقد عرف الكيومان فى التاريخ بحملاتهم الخطرة ومعاركهم الشرسة ضد اعدائهم سواء من البيزنطيين أو الروس ، الهاجناك ، الصليبيين وغيرهم . وفى عام ١٢٣٧ هزمهم باتوخان Batu-Khan ، أحد أحفاد جنكيزخان وقتل بعضهم . وانتهى بهم الحال الى الاندماج فى الامبراطورية المغولية التى اسسها باتوخان وعرف باسم Golden Horde والتى حكمها فى الفترة (١٢٢٧ــ١٣٥٦)

Grousset (R.): L'empire des Steppes, 1945 جع

باللاتين وجيشهم فى موقعة هادريانوبل فى ابريل ١٢٠٥ . ولم يعرف احدا على وجه التحديد مصير الامبراطور بلدوين ، وقد اختلف المؤرخون المعاصرون فى هذا الموضوع ، فروبرت كلارى كما رأينا ذكر أن الامبراطور بلدوين فُقِدَ ولم يعرف أحد ما حدث له . أما فيلهاردوين الذى اشترك هو الآخر بنفسه فى المعركة ، فقد ذكر أن الامبراطور بلدوين أُخذ أسيرا ، ولم يقتل ، على حين ذبح الكونت لويس اوف بلواوشارتر[1] .

واختلف المؤرخون البيزنطيون هم أيضا فى المصير الذى آل اليه الامبراطور بلدوين فذكر نقيتاس خونياتيس أن بلدوين أُخذ اسيرا الى عاصمة جوهانيتزا وهى Trinovo فى أعلى جبال البلقان ، وهناك كُبل بالسلاسل حتى رقبته وهو على قيد الحياة[2] . أما المؤرخ اكروبوليتيس فقد أوضح أن جوهانيتزا قد قطع رأس بلدوين وزينها بالحلى واتخذها وعاء لشرابه[3] .

وهكذا يتفق كل من المؤرخ اللاتينى فيلهاردوين والمؤرخ البيزنطى خونياتيس وهما معاصران للاحداث ، فى ايضاح المصير الذى آل اليه الامبراطور اللاتينى للقسطنطينية بلدوين ، وهو انه أسر ونقل الى عاصمة البلغار . وربما كان هذا هو الأقرب الى الصواب والحقيقة ، ويؤيد هذا الرأى تلك الرسالة التى أرسلها البابا اينوسنت الثالث فى أغسطس أو سبتمبر من عام ١٢٠٥ الى جوهانيتزا يطلب منه أن يطلق سراح بلدوين كأساس لاقرار السلام مع اللاتين[4] .

وعلى هذا النحو بدأت فى الأنهيار قوة اللاتين بعد سنة واحدة من فتحهم القسطنطينية ، ويقول المؤرخ الألمانى جلزر Gelzer : « سيادة الفرنجه على الدولة البيزنطية انتهت فى ذلك اليوم الحزين »[5] .

أما اسبنسكى Uspensky فيقول : « بقاء الامبراطورية اللاتينية فى

(1) Villehardouin: La conquete de constantivople, P. 94.

(2) Choniates: Historia, ed. Bonn, P. 814.

(3) Georgu Acropolitae ohera, ed Heisenberg, I, P 22.

(4) Wolff: Studies in the lativ Empire of Constantinople, P 289.

(5) Gelzer (H.): Abriss der Byzantinischen kaiserges chichte, P 1042.

القسطنطينية دون ادنى شك ، فترة أخرى من الزمن ، كان تماما ، فى ايدى البلغار »[1] . وقد كانت معركة هادريانوبل ، وما ترتب عليها من هزيمة اللاتين على هذه الصورة ، مما جعل جوهانيتزا يعتد بقوته ، ومن ثم نقض تحالفه مع يونان البلقان ، وقام بغارات مدمرة ضدهم فى شتاء وربيع عامى ١٢٠٥ــ١٢٠٦ ، وافنى معظم سكان المدن ، واتخذ لقب (سفاح الرومان) Romaioktonos[2] ، ردا على لقب (سفاح البلغار) Bulgaroktonos الذى كان قد اتخذه الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٥ــ١٠٢٥) .

ومن ذلك يتضح أن قيصر البلغار وشعبه لم ينسوا عداءهم السابق لبيزنطه والبيزنطيين ولم يكن تحالفه مع يونان البلقان إلا أمرا مؤقتا حتى يضمن مساعدتهم له ، أو على الأقل حيادهم اثناء صراعه مع اللاتين . كما أن اليونان انفسهم لم يتحالفوا معه الا من أجل كسب مساعدته لهم ضد اللاتين ، أما عن شعورهم الحقيقى تجاهه ، فقد وضح تماما من اللقب الذى اطلقوه عليه وهو Skylojannes[3] ومعناها بالعربية (الكلب جون) .

وقد خدمت هذه الأحداث كلها ، الخاصة بصراع اللاتين والبلغار ، وما أدى إليه من اشتعال معركة هادريانوبل بين الطرفين ، ثيودور لاسكاريس ، وكانت لها نتائج هامة وبعيدة المدى . فقد انسحب اللاتين من آسيا الصغرى ، بعد أن أوشكوا أن يفتحوها ، ويقضوا على ثيودور لاسكاريس . وقد قتل الدوق الأول والأخير لنيقية ، وهو لويس أوف بلواوشارتر ، قبل أن تطأ قدمه أرض آسيا الصغرى ، وبذلك خلا الجو لثيودور لاسكاريس لكى يلتقط انفاسه ، وينظم أموره ، ويعمل جاهدا على تأسيس ملكه هناك ، ومنحه الفرصة فى حياة جديدة وأمل جديد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد افتقد يونان البلقان مركزا قويا لهم فى أوروبا ، بعد أن تعرضوا للاضطهاد والعداء من جانب البلغار واللاتين فى آن واحد ، لذلك فقد ولوا وجوههم شطر ثيودور لاسكاريس فى آسيا

(1) Ostrogorsky: Second Bulgarian Kingdom, P. 250

(2) Georgii Acropolites opera, ed. Heisenberg, PP. 23-24.

(3) Ibid: P. 24.

الصغرى ، ونظروا اليه على أنه المحرر الأمثل لهم من الغزاة اللاتين والبلغار ، والمتحدث الرسمي عن آمالهم واحلامهم .

كذلك ترتب على هزيمة اللاتين فى معركة هادريا نوبل ، أن اتفق أهالى نيقية على تسليمها لثيودور لاسكاريس ، بعد أن رأوا كيف انهارت قوة اللاتين ، وانهم ليسوا بالقوة التى ظنوهم بها . وهكذا نقل ثيودور لاسكاريس عاصمته من بروسا الى نيقية[1] ، وجمع حوله رجال الدين الارثوذكسى ، وكل من لجأ اليه من الشعب البيزنطى ، واصبحت نيقية هى المركز القومى للبيزنطيين والقاعدة السياسية والعسكرية التى انطلق منها ثيودور ليباشر نشاطه ضد العدو اللاتينى الجاثم على الأرض البيزنطية .

ولم يكن منتظرا من اللاتين أن يتركوا ثيودور يهنأ بوضعه الجديد فى آسيا الصغرى ، فاستأنفوا الصراع ضده محاولين القضاء عليه . وقد انفرد المؤرخ اللاتينى جيوفرى فيلهاردوين بسرد تفاصيل هذا الصراع الذى اشتعل بين اللاتين من جهة وثيودور لاسكاريس من الجهة الأخرى . والجدير بالذكر أن المؤرخين البيزنطيين لم يأتوا بشيء عن تفاصيل هذا الصراع ، وكذلك الغالبية العظمى من المؤرخين المحدثين مثل فازيلييف واستروجورسكى وبريه وهسى ونيقول وولف وانجولد وغيرهم كثير . لذلك فاننا ندين بالفضل فى معرفة تفاصيل هذا الصراع للمؤرخ اللاتينى فيلهاردوين .

وقد بدأ الصراع بين الطرفين بعد تتويج هنرى — شقيق الامبراطور السابق بلدوين — امبراطورا على عرش القسطنطينية فى ٢ اغسطس ١٢٠٦ فى كنيسة آيا صوفيا ، اذ سارع بالالتفات الى شئون آسيا الصغرى ، وتيودور لاسكاريس . وقد طمع هنرى فى أن يضم نيقية الى ممتلكاته ، لذلك فقد أرسل الى آسيا الصغرى فى نهاية ١٢٠٦ قوة مكونة من ١٤٠ فارسا ، وكان على رأسها بطرس أوف بارسيو Peter of Barcieux الذى منحه الامبراطور هنرى حق امتلاك Pigaws

(1) Miller: The Empire of Nicaea, PP. 481-482.
Nicol: The Fourth crusade and greek and latin Empires, P. 295

وشبه جزيرة قزيقوس Cyzicus الواقعة على بحر مرمره والتى ذكرها فيلهاردوين باسم Skiza ، وقد ساروا حتى بلغوا قزيقوس ودخلها جيش الفرنج وقام بطرس بتحصينها ، وبنى بها قلعتين ووصف طريقين للدخول اليها[1] ، والجدير بالذكر أن هذه المدينة قد استحوذت على جانب كبير من الصراع بين اللاتين وثيودور لاسكاريس وذلك نظرا لاهتمام كلا الطرفين بها ، وكان اهتمام ثيودور بها طبيعيا نظرا لانها تعتبر المنفذ الطبيعى له على البحر ، على حين اهتم بها اللاتين لانهم يريدون أن يحرموا ثيودور من هذا المنفذ البحرى الذى يستطيع عن طريقه أن يهدد الممتلكات اللاتينية على الساحل الاوروبى المقابل وعرقلة مرورهم عبر بحر مرمره ، وليستفيدوا هم من موقعها الجغرافى . وقد قام اللاتين بمهاجمة اراضى ثيودور لاسكاريس ، ونهبوا الكثير من الغنائم والماشية ، وعادوا بها الى قزيقوس . ولكن ثيودور لم يسكت على هذا التخريب الذى ألحقه اللاتين باراضيه ، فطاردهم حتى وصل الى قزيقوس ، وهناك التحم الطرفان فى معارك اسفرت عن خسائر جمة لكلاهما .

كذلك أرسل الامبراطور هنرى نائبه ويدعى Thierri of Loos الى آسيا الصغرى بعد أن منحه مدينة نيقوميديا ، وهى على بعد يوم واحد من نيقية عاصمة لاسكاريس وقد وصل ثيرى الى نيقوميديا مع قوة من رجال الامبراطور هنرى ، وقام ثيرى بتحصين كنيسة سانت صوفيا St. Sophia التى تقع خارج مدينة نيقوميديا وامتازت بالاتساع والجمال ، وقد اشتبك معهم ثيودور لاسكاريس أيضا محاولا انتزاعها من ايديهم[2] .

وهكذا بدأ اللاتين فى الضغط على ثيودور لاسكاريس من جديد محاولين القضاء عليه واستخلاص هذه المنطقة من آسيا الصغرى . وقد أدرك ثيودور أنه ليس بوسعه التصدى لهم ، وأنه لن ينقذه إلا البلغار ، مثلما حدث من قبل ، لذلك فقد راسل قيصر البلغار جوهانيتزا واخبره أن الامبراطور هنرى قد وجه كل

---

(1) Villehardouin: La conquete de Constantinople, P. 120.

(2) Villehardouin: Op. cit., P. 121.

قواته الى آسيا الصغرى من أجل القضاء على لاسكاريس ، وأن الامبراطور فى القسطنطينية وليس لديه سوى عدد ضئيل من القوات ، وأن هذا هو الوقت المناسب للانتقام من اللاتين ، وطلب منه أن يتعاونا معا فى الهجوم عليه ، بحيث يهاجمهم جوهانيتزا من الغرب من البلقان ، وثيودور من الشرق من آسيا الصغرى ، وبذلك يقع اللاتين بين فكى الكماشة[1] .

وقد استجاب له جوهانيتزا ، وقام بجمع جيش ضخم من البلغار والكيومان والولاش Vallach[2] ، وفى ٧ مارس ١٢٠٧ دخل الى الأراضى التابعة للاتين فى البلقان ، وأرسل جيشا من الكيومان خربوا المنطقة حتى وصلوا الى بوابات القسطنطينية ذاتها ، أما هو ففرض الحصار على مدينة هادريا نوبل ، ونصب ٣٣ منجنيقا ضخما لدك الاسوار والابراج بالحجارة ، وقد أرسل سكانها من اللاتين واليونان الى الامبراطور هنرى يخبروه بذلك ، وطلبوا النجدة العاجلة[3] .

وهكذا أحدث جوهانيتزا ، وللمرة الثانية ، تغيرا فى الاحداث ، وحول اتجاه اللاتين من آسيا الصغرى الى تراقيا . وللمرة الثانية أيضا أرسل الامبراطور اللاتينى يستدعى قواته من آسيا الصغرى ليرسلها الى حرب البلغار ، فنفذوا أوامر الامبراطور وانسحبوا من مواقعهم باستثناء حاميات صغيرة قليلة العدد بقيت فى الاماكن التى فتحها اللاتين .

وحينما علم ثيودور لاسكاريس بنجاح خطته وتخطيطه ، وحصار البلغار لهادريا نوبل ، وأن الامبراطور هنرى تحت ضغط الحاجة قد استدعى رجاله لقتال البلغار ، وجد أن الفرصة مواتية لطرد النفوذ اللاتينى من آسيا الصغرى ، فجمع

(1) Villehardouin: Op. cit., P. 122.

(٢) اختلف المؤرخون حول اصل الولاش Vlachs فبعضهم ينسبهم الى المستعمرين الرومان الذين استقروا فى القرن الثانى الميلادى فى منطقة الفها ، على حين ينسبهم البعض الآخر الى البلو الرعاة الذين يرجع اصلهم الى جنوب نهر الدانوب . وقد لعب الولاش دورا بارزا فى عدد من الكيانات السياسية التى عرفت فى العصور الوسطى ابتداء من القرن الثانى عشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر ، كان اهمها الامبراطورية البلغارية الولاشية جنوب نهر الدانوب (١١٨٥–١٢٥٧) ، راجع :

The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, U.S.A. 1980, P. 704.

كل ما استطاع جمعه من المقاتلين وسار الى قريقوس حيث اقام معسكره امامها ونشب القتال بين ثيودور ورجاله من جهة والحامية اللاتينية القليلة العدد والعتاد من الجهة الأخرى . وقد استمر ثيودور فى حصاره لهذه المدينة ولكنه ارسل الجزء الأكبر من رجاله الى قلعة Cibotos حيث حاصروها برا وبحرا بعدد من السفن يبلغ الستة عشر سفينة حربية ، وذلك فى يوم السبت ٣١ مارس ١٢٠٧ . وكانت الحامية اللاتينية بها مكونة من ٤٠ فارسا نشب القتال بينهم وبين رجال لاسكاريس ، وقد ارسلت الحامية اللاتينية على وجه السرعة للامبراطور هنرى الذى كان بالقسطنطينية ، يطلبون منه سرعة نجدتهم[1] .

وعلى الفور اتجه الامبراطور الى الشاطىء ، واعتلى ظهر سفينته الحربية من نوع Galleon ، وقد حذا حذوه كبار رجاله الذين اعتلوا ما وجدوه امامهم من السفن ، وكان من بينهم المؤرخ جيوفرى فيلهاردوين ، الذى ذكر أن الامبراطور أمر أن يذاع فى القسطنطينية أن يتبعه جميع القادرين على القتال ، فاختلط الجميع وهرولوا جميعا من بنادقة وبيازنة ولاتين الى الميناء حيث اعتلوا ظهر السفن التى وجدوها امامهم ، وكان مجموع السفن التى خرج بها الامبراطور ورجاله ستة عشر سفينة ، وقد سارت السفن برجالها فى طريقها لانقاذ قلعة Cibotos وقطعت المسافة من القسطنطينية اليها فى يوم وليلة ، وبعد وصولهم اليها وجدوا رجال لاسكاريس وسفنه تحاصرها ، فاشتبكوا معهم فى القتال ، وحسب رواية فيلهاردوين تمكن اللاتين من الاستيلاء على سفن لاسكاريس . ولكن البيزنطيين انتهزوا فرصة ظلام الليل وسحبوا سفنهم الى الشاطىء حيث احرقوها عن آخرها حتى لا يستفيد بها اللاتين ، ثم رفعوا معسكرهم وانسحبوا من أمام هذه القلعة . أما الامبراطور هنرى ، فقد تفقد القلعة فى الصباح فوجدها فى غاية الضعف ، وأنها عديمة الجدوى للاتين ، فسحب منها الحامية وعاد برجاله الى القسطنطينية[2] .

بعد عودة الامبراطور هنرى الى القسطنطينية ، تأهب للرحيل الى الجبهة

(1) Villehardouin Op. cit., P. 123-124.

(2) Villehardouin Op. cit., P. 123-125

البلغارية لتفقد احوال مدينة هادريانوبل بعد التخريب الذى الحقه بها قيصر البلغار جوهانيتزا . ذلك أنه استمر محاصرا لهذه المدينة طوال شهر ابريل ١٢٠٧ ، وأوشكت المدينة أن تقع فى يده ، بعد أن دمر بعض اجزاء من سورها ، وقد التحم رجاله مع المدافعين عنها وتقاتلوا يدا بيد ، وقد ابدى المدافعون عنها شجاعة كبيرة فى التصدى للبلغار وردهم عنها ، وكانت الخسارة كبيرة فى كلا الجانبين نظرا لكثرة عدد القتلى والجرحى . لكن الأحداث تطورت وأدت إلى انسحاب جوهانيتزا من أمام هادريا نوبل ، وتتلخص هذه الأحداث فى أن الكيومان المصاحبين لقيصر البلغار ، بعد أن عاثوا فسادا فى أراضى البلقان ، وحصلوا على الكثير من الغنائم والأسلاب ، عادوا إلى جوهانيتزا أمام هادريا نوبل واخبروه بعزمهم على الرحيل والعودة إلى بلادهم ، وعبثا حاول أن يثنيهم عن عزمهم ، فقد تركوه ورحلوا ، ولم يستطع جوهانيتزا البقاء بدونهم نظرا لانهم كانوا يكونون العدد الأكبر من رجاله ، فانسحب من امام هادريا نوبل وعاد الى بلاده[1] .

وهكذا اراد الامبراطور هنرى الذهاب الى هذه المدينة لتفقد احوالها بعد انسحاب البلغار من أمامهم ، وبعد الخراب والتدمير الذى الحقوه باسوارها ولتأديب جوهانيتزا على ما أحقه بها من الدمار . لكن الأنباء جاءته بخطورة الموقف فى آسيا الصغرى بسبب محاولات ثيودور لاسكاريس المتكررة لطرد الفرنجة اللاتينى من هناك ، وفى ذلك الوقت قام ثيودور بمحاولة جديدة لحصار مدينة قزيقوس برا ، على حين قام قائد بحريته ويدعى Escurion على رأس اسطول مكون من ١٧ سفينة حربية بحصارها بحرا ، وقد اشتعلت ثورة الأهالى داخل قزيقوس مناهضين للحكم اللاتينى ومؤيدين لثيودور لاسكاريس وقاموا بمهاجمة حاكم المدينة اللاتينى بطرس ورجاله ، وانزلوا بهم خسائر فادحة فى الأرواح[2] . ومعنى ذلك ان ثيودور لاسكاريس بدأ يكسب شعور وولاء اليونان وبدأ يلقى التأييد والمناصرة بعد أن اقتنعوا بأنه يقوم بالدفاع عن قضيتهم ضد اللاتين ، وبعد أن رأوا هزائم اللاتين أمام قوة البلغار .

(1) Ibid: P 126.

(2) Villehardouin: Op. cit., PP. 126-127

لذلك فقد أجل الأمبراطور هنرى رحيله الى هادريا نوبل للمرة الثانية ، وعقد مجلسا للتشاور مع باروناته والبنادقة أيضا ، واجمعوا على ضرورة الاسراع لنجدة بطرس فى قريقوس وغادر الامبراطور ورجاله القسطنطينية فى ١٤ سفينة حربية وكان معهم أيضا المؤرخ جيوفرى فيلهاردوين ، وقد اتخذوا طريقهم نحو قريقوس . وحين علم قائد اسطول لاسكاريس بذلك انسحب من أمام قريقوس باتجاه مضيق الهللسبونت ، وقد تبعه اللاتين بسفنهم يومين وليلتين ، قطعوا خلال هذه المدة مسافة ٤٠ ميلا ، ولكن لم يعثروا له على أثر فعادوا ادراجهم الى قريقوس ، التى انسحب ثيودور لاسكاريس من أمامها ، وعاد الى أراضيه[1] .

عاد الامبراطور هنرى الى القسطنطينية وتأهب للذهاب الى هادريا نوبل ، فجاءته الانباء بهجوم ثيودور لاسكاريس على مدينة نيقوميديا ، وكانت هذه المدينة تتبع نائب الامبراطور ثيرى ارف لوس ، الذى ارسل رجاله الى الامبراطور هنرى لكى يأتوا لنجدتهم فاضطر الامبراطور هنرى الى تأجيل رحيله الى هادريا نوبل للمرة الثالثة ، واتجه الى نيقوميديا ، وما أن علم ثيودور بذلك حتى رفع الحصار وانسحب الى نيقية .

وقد عقد الامبراطور هنرى مجلسا وقرر أن يترك بعض رجاله فى المواقع التى تم استيلاء اللاتين عليها ، فتقرر أن يستقر ثيرى فى نيقوميديا مع فرسانه وجنوده ، ويستقر Macaire of Sainte Menehold ورجاله فى Charax أما William of Perchoi فيستقر برجاله فى قريقوس ويتولى كل واحد من هؤلاء حراسة اراضيه ، وعاد الامبراطور هنرى الى القسطنطينية[2] .

وبمجرد وصول الامبراطور للقسطنطينية جاءته الانباء بتفاقم الأمور فى آسيا الصغرى ، ذلك أن ثيرى ووليم وعدد من رجالهم خرجوا للرعى ، ففاجأهم رجال ثيودور لاسكاريس واوقعوا بهم ، واسروا كثيرين منهم كان من بينهم ثيرى بعد أن جرح فى وجهه ، أما وليم فقد فر بعد أن جرح فى ذراعه ، ولجأ هو ومن نجا منهم

(1) Ibid: P 127.

(2) Villehardouin: Op. cit., P 128

الى كنيسة سانت صوفيا فى نيقوميديا حيث احتموا بها ، وارسلوا للامبراطور هنرى من أجل نجدتهم ، خاصة وأن رجال ثيودور وعلى رأسهم شقيقه قد حاصروهم بها فاضطر الامبراطور هنرى تحت ضغط هذه الظروف أن يعود من جديد الى آسيا الصغرى ، وحينما سمع رجال ثيودور بذلك انسحبوا الى نيقية ، أما الامبراطور هنرى فقد عسكر فى ضواحى نيقوميديا ، وأرسل رجاله لنهب وتخريب اراضى ثيودور لاسكاريس . وبينما الامبراطور هنرى فى موضعه جاءه رسل ثيودور يعرضون عليه الهدنة لمدة سنتين ، على شرط أن يسمح الامبراطور هنرى لثيودور بتدمير تحصينات مدينة قزيقوس — حتى لا يستفيد اللاتين بها — وتحصينات كنيسة سانت صوفيا فى نيقوميديا ، وفى المقابل يطلق ثيودور سراح من عنده من اسرى اللاتين[1] .

وقد تشاور الامبراطور هنرى مع رجاله ، واتفقوا على قبول مقترحات ثيودور ، وعللوا قبولهم بأنه من الأفضل أن يفقدوا بعض التحصينات فى آسيا الصغرى ، بدلا من أن يفقدوا مدينة هادريا نوبل وما جاورها من أراضى فى البلقان ، وكذلك بقبولهم الهدنه مع لاسكاريس يأمنوا جانبه بدلا من أن يفتحوا على انفسهم جبهتين للقتال ، احداهما فى البلقان مع جوهانيتزا ، والأخرى فى آسيا الصغرى مع لاسكاريس ، بعد أن تحالف الاثنان معا وصار يساعد كل منهما الآخر ضد اللاتين .

وهكذا تم ابرام الهدنه بين ثيودور لاسكاريس والامبراطور هنرى فى ربيع عام ١٢٠٧ ، وتم تسليم قزيقوس وكنيسة سانت صوفيا فى نيقوميديا الى ثيودور الذى قام بتخريب حصونهما واستقرت الهدنه بين الطرفين[2] .

وقد اعطت هذه الهدنه الفرصة لثيودور لكى يلتفت الى تنظيم شئونه الداخلية ، فقد اراد ثيودور أن يجعل من نيقية شيئا أكثر اهمية من مجرد مركز لحركة المقاومة ضد اللاتين وأن يجعل نفسه معترفا به كحاكم شرعيا على العرش البيزنطى ،

(1) Ibid: PP. 128-129.

(2) Villehardouin: Op. cit., PP 128-129.

فحتى ذلك الوقت كان ثيودور يكتفى بلقب الأمير Despot[1] ، لانه كان يدرك تماما ، انه لكى يتوج امبراطورا ، لابد أولا من وجود بطريرك للكنيسة ، يتوجه ويباركه ، لذلك فان الخطوة الأولى أمام ثيودور كانت العمل على ايجاد بطريرك لكنيسة نيقية يكون امتدادا لبطاركة القسطنطينية ، ويكون هو البطريرك الرئيسى والشرعى للكنائس الأرثوذكسية فى الشرق . وكان البطريرك الأخير لكنيسة القسطنطينية يوحنا كاماتيروس قد فر عقب سقوط العاصمة فى يد اللاتين فى ١٢٠٤ الى بلغاريا — كما سبق أن اشرنا الى ذلك — وظل بها . وقد ارسل اليه ثيودور لاسكاريس طالبا منه أن يأتى الى نيقية ، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك بسبب مرضه ، ثم لم يلبث أن توفى فى ١٢٠٦[2] . وقد جمع ثيودور كل من استطاع جمعه من رجال الدين فى نيقية ، ودعاهم لاختيار بطريرك ، وقد وقع اختيارهم فى مارس ١٢٠٨ على ميخائيل اوتوريانوس Michael Autorianus ، ليتولى كرسى البطريركية (١٢٠٨—١٢١٢) ، واتخذ اسم ميخائيل الرابع، وأقام فى نيقية واتخذ لقب البطريرك المسكونى للقسطنطينية ، واصبح الرأس الشرعى الوحيد للكنائس اليونانية الارثوذكسية .

وقد قام البطريرك بتتويج ثيودور لاسكاريس امبراطورا فى الاسبوع الثالث من الصيام الكبير Lent ، وبارك الامبراطور ومسحه بالزيت خلال اسبوع الآلام Holy Week فى عام ١٢٠٨[3] .

وهناك اختلاف فى الرأى حول التاريخ الذى توج فيه ثيودور الأول لاسكاريس امبراطورا . فالمؤرخ البيزنطى نقيتاس خونياتيس ذكر أن التتويج تم فى عام ١٢٠٥[4]

(1) Miller: The Empire of Nicaea, P. 479.
Ostrogorsky: Op. cit., P. 428, F.N. 2.

(2) Choniates: Historia, II, P. 837
Georgu Acropolites opera, I, P. 11.
Nicol: The Fourth crusade, in C.Med.H., Vol I; Ved Hussey P. 295.

(3) Angold: The Byzantive Gouernment in Exile, P. 43. Vasiliev: Op. cit., II, P. 511.
Ostrogorsky: Op. cit., P. 419.

(4) Georgu Acropolites opera, ed Heisenberg, II, P. 18.
Nicol: The Fourth crusade, P. 295.
Vasiliev: Op. cit., PP. 511-512.
Ostrogorsky: Op. cit., P. 428.; Whiting: Byzantium, P. 114.

على حين ذكر المؤرخ اكروبوليتيس أن التتويج تم فى عام ١٢٠٨ (١) . لكن الثابت أن اختيار بطريرك نيقية كان فى مارس ١٢٠٨ ، وقد تم تتويج ثيودور امبراطورا على يد البطريرك ، لذلك فالاصح هو ما ذكره اكروبوليتيس من أن التتويج تم فى مارس عام ١٢٠٨ .

وهكذا تم احياء الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى فى نيقية ، وأصبح للبيزنطيين امبراطورا وبطريركا شرعيين هما امتدادا للسلطتين العلمانية والاكليركية فى بيزنطة ، واصبحت نيقية نقطة تجمع جديدة وأمل جديد فى استرجاع العاصمة الأم القسطنطينية .

وكما سبق أن أوضحنا ، كان قد تم اختيار ثيودور لاسكاريس امبراطورا على اليونان فى كنيسة القسطنطينية ، ولكن مراسم التتويج والمسح بالزيت بواسطة البطريرك ، احاطته بها له من القداسة ، ومنحت وظيفته كل الفخامة الامبراطورية ، وأصبح يعتبر الامبراطور الشرعى الوحيد للبيزنطيين واصبح اللقب الرسمى لثيودور هو :

"Theodorus, in christo Deo fidelis, Imperator et Maderator Romeorum et Semper Augustus, Comnenus Lascarus".

وترجمته باللغة العربية كما يلى :

« ثيودور ، المؤمن بالمسيح الرب ، امبراطور الرومان وحاكمهم ، وصاحب الجلالة على الدوام ، لاسكاريس كومنينوس ٢٢ » .

واصبح التوقيع الرسمى لثيودور على الوثائق الرسمية بالحبر الاحمر هو « الباسيليوس المقدس ، والاوتوقراطور الرومانى » . وهو نفس توقيع الاباطرة البيزنطيين السابقين (٢).

وقد احيا ثيودور لاسكاريس جميع النظم والتقاليد البيزنطية العريقة ، التى

(1) Nicetas choniates: Historia, ed. Bonn, P. 828.

(2) Angold: A Byzantine Government in Exile, P. 37

وجدت تعبيرها الرمزى فى شخصى الامبراطور والبطريرك . وفى مجال الادارة والخدمات المدنية والبلاد الامبراطورى والنظم العسكرية ، بل وفى ميدان السياسة الخارجية أيضا ، اعيد احياء كل ذلك من جديد على نفس الاسس البيزنطية العريقة[1] .

وكان ثيودور يعتقد اعتقادا راسخا بأنه بعد سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين عام ١٢٠٤ ، انتقلت النظم والتقاليد البيزنطية العريقة الى نيقية ، حيث اجلس الله برحمته امبراطورا على العرش بها ، واصبح لزاما على الامبراطور — مثله مثل موسى من قبل — أن يقود شعبه ويحرره من الاسر ، وأن يستعيد وحدة اراضى الامبراطورية .

ويظهر ذلك بوضوح فى هذه الفقرة التى جاءت فى خطبة العرش التى القاها ثيودور لاسكاريس بعد تتويجه ، والتى جاء بها ما يلى :

« سلطتى الامبراطورية ، وُضعت بفضل السماء ، كوالد للدولة الرومانية العالمية ، بارادة الله امدتنى بالقوة ، وحدة الامبراطورية تستلزم وحدة الكنيسة ، قطيعا واحدا وراعيا واحدا »[2] .

وقد أدت هذه الاجراءات التى اتخذها ثيودور لاسكاريس فى نيقية ، الى اشتعال الصراع بينه وبين سلطنة قونيه Iconium السلجوقية التى كان يدين لسلطانها الجزء الأعظم من آسيا الصغرى ، ذلك أن اتخاذ ثيودور لاسكاريس لنيقية عاصمة له ومركزا للامبراطورية المنفية ، قد أحيا الصراع البيزنطى السلجوق القديم بعدما وجد عائقا هاما امام التوسع السلجوق غير باق اتجاه ساحل البحر

= عن كل هذه المحاولات والنظم التى سارت عليها امبراطورية نيقية البيزنطية ، وراجع الكتاب الثانى الذى يعتبر مرجعا هاما فى هذا الموضوع :

(1) Angold: A Byzantine Government in Exile, Government and Society Under the Laskarids of Nicaea, 1204-1261, ox ford University Press. 1975.
Glykatzi-Ahrweiler: "La politique agaire des Empereurs de Nicee". dans la Revue de (Byzantion). tome XX VIII, Bruxelle, 1958. PP. 51-66.

(2) Vasiliev: Op. cit., Vol. 2, PP. 513-14.
Angold: Op. cit., P. 13.

الايجى . أضف لذلك أن تتويج ثيودور لاسكاريس امبراطورا فى نيقية جعل والد زوجته وهو الامبراطور السابق لبيزنطة اليكسيوس الثالث انجيلوس (١١٩٥ــ١٢٠٣) يفر الى السلطان السلجوق ، ويسأله أن يعاونه على استرداد عرشه المفقود ، وابعاد ثيودور عن عرش نيقية ليحل هو أى اليكسيوس ، محله امبراطورا على الشعب البيزنطى .

وقد ارسل السلطان السلجوق يتوعد ثيودور إن لم يتنازل عن عرشه لحميه اليكسيوس ، وقد قرب العداء لثيودور ومحاولة تدميره بين كل من اللاتين والسلاجقة ، وجعلهما حليفان يسعيان معا للقضاء عليه ، وقد توسط البنادقة بين الامبراطور هنرى وبين سلطان سلاجقة الروم ويدعى غياث الدين كاى خسرو الاول ، وتم عقد اتفاقية سرية بين الطرفين فى عام ١٢٠٩ وبناء عليه أمد الامبراطور اللاتينى السلطان السلجوق بقوات من اللاتين حاربت الى جانبه ضد ثيودور[1] .

وقد قام السلطان السلجوق بالتعدى على أراضى ثيودور لاسكاريس ، ولم يكن ثيودور بالذى يرضى بهذا التعدى ، فاشتعلت معركة ضارية بين الطرفين فى ربيع عام ١٢١١ بالقرب من انطاكية على شاطىء نهر الميائدر ، وكان جيش ثيودور يتكون من عشرين ألفا من بينهم ثمانمائة فارس من اللاتين المرتزقة الذين وقع عليهم البابا اينوسنت الثالث قرار الحرمان لتعاونهم مع البيزنطيين المنشقين[2] . وقد اظهروا شجاعة فائقة وانزلوا خسائر فادحة بالاتراك ، ولكن الغالبية العظمى منهم سقطت قتلى فى ميدان المعركة ، وقد اشتبك ثيودور فى معركة منفردة مع السلطان السلجوقى ، قتل اثناءها السلطان ، ودخل ثيودور مدينة انطاكية منتصرا ، أما الامبراطور السابق اليكسيوس انجيلوس فقد تم اسره واجبر على الترهب ، وقضى البقية الباقية من حياته فى دير Hyakintlos فى نيقية[3] .

(1) Gregoras: Historiae Byzantivae. I, PP 17-18.
Ostrogorsky: Op. cit., P. 429.
Nicol: Op. cit., P. 295.

(2) Miller: The Empire of Nicaea, P. 484.

(3) Georgu Acropolitae opera, I, P 17.

والواقع أن هذه المعركة لم تعطى ثيودور تغيرات اقليمية كبيرة ، ولكن نتائجها الأدبية والمعنوية كانت عظيمة القيمة ، فقد أكدت أن الامبراطورية الناشئة قد أحيت التقليد البيزنطي القديم الخاص بالنضال ضد المسلمين ، واحررت أولى انتصاراته ، كما كان من نتائجها كذلك الزام اليونان الباقين على قيد الحياة والمطالبين بالعرش الامبراطورى البيزنطى بالصمت . كما ملأت بالفرح والحماس قلوب الشعب البيزنطى ليس فقط فى آسيا الصغرى ، ولكن فى أوروبا كذلك ، الذين نظروا الى نيقية على أنها مركزهم ونقطة تجمعهم .

وقد توصل السلطان السلجوقى الجديد الى التفاهم مع ثيودور ، ونشأت بينهما علاقات ودية ، وبذلك ضمن ثيودور جانب الاتراك السلاجقة الذين يعتبرون اقرب جيرانه ، وبدأ يوجه انتباهه من جديد نحو استئناف النضال ضد اللاتين .

وقد ارسل ثيودور بعد انتصاره على السلاجقة رسائل الى كل الأقاليم اليونانية ، اذاع فيها انتصاره ، وطلب منهم بذل المساعدة له بوصفه امبراطورهم الشرعى ، ووعدهم اذا امروه بالمساعدة فانه سوف يأت اليوم الذى يحررهم فيه ويحرر أراضيهم من هؤلاء (اللاتين الكلاب)[1] .

وقد قام ثيودور بمحاولة للاستيلاء على العاصمة القسطنطينية بعد أن شجعه هذا الانتصار ورفع روحه المعنوية ، فحاصرها باسطوله وهاجمها ، غير أن هذه المحاولة لم تنجح ، لأن امبراطورية نيقية كانت لاتزال حتى ذلك الوقت ، محدودة الامكانيات سواء من الناحية العسكرية أو المادية أو البشرية . وقد نقل الامبراطور اللاتينى هنرى المعركة الى ارض آسيا الصغرى نفسها حيث ممتلكات ومقر ثيودور لاسكاريس ، وخاض ضده معركة على ضفاف نهر Rhyndacus غير بعيد عن بروسا ، وذلك فى ١٥ أكتوبر ١٢١١ واحرز هنرى الانتصار ، وتقدم جنوبا واستولى على مدينتى Pergamus et Nymphaeum وبعض المواقع الأخرى[2] وقد ارسل

(1) Georgii Acropolitae opera, I, 27.

(2) Recueil des Gestes et de la chronique de Benoit, chanoine de Sainte Maure, Paris, 1870, II, 93 - 94.

هنرى من برحامرم فى بداية عام ١٢١٢ . خطابا وجهه « الى جميع الأصدقاء » جاء فيه : « أن العدو الأول والأكبر هو لاسكاريس الذى استولى على كل الأرض بجوار شاطىء سان جورج (مضيق البسفور) حتى حدود الاتراك ، وظهر كامبراطور ، وهو غالبا يهاجمنا من هذا الاتجاه ... لقد جمع لاسكاريس عدد كبير من السفن الحربية لكى يستولى على القسطنطينية ، علاوة على أن المدينة ترتجف فى خراب عظيم الى حد أنهم يأسوا من عودتنا (من آسيا الصغرى) . كثيرين من شعبنا خططوا للفرار عبر البحر ، وعدد عظيم عبروا البحر الى لاسكاريس ووعدوه بالمساعدة ضدنا ... جميع اليونان تذمروا ضدنا ووعدوا لاسكاريس بالمساعدة ، اذا ما جاء لقتال القسطنطينية » .

وقد انتهى الخطاب بنداء موجه للاتين من أجل مساعدة هنرى « لاحراز الانتصار التام وامتلاك امبراطوريتنا نحتاج الى عدد كبير من اللاتين نستطيع أن نمنحهم الأرض التى نكسبها ، والتى اكتسبناها بالفعل ، لأنه كما تعلمون ، ليس كافيا اكتساب الأرض ولكن يجب أن يكون هناك من يستطيع أن يحافظ عليها »[1] .

ويظهر بوضوح من خلال هذا الخطاب أن هنرى يعتبر ثيودور لاسكاريس عدوه الأساسى الذى يرغب فى تدميره والقضاء عليه . كذلك يتضح من هذا الخطاب أن ثيودور أصبح هو الجانب الأقوى ، بدليل أن اللاتين أنفسهم بدأوا يتحازون اليه وينضمون الى جانبه ، بالإضافة الى اليونان أيضا الذين رأوا فى ثيودور رجل الساعة الذى التفوا حوله لكى يخلصهم من اللاتين ويعيد اليهم أرضهم المسلوبة وحقهم الضائع . كذلك يتضح من هذا الخطاب أن هنرى يريد المزيد من اللاتين من أجل توطينهم واستقرارهم فى الأراضى التى يتم له فتحها واغتصابها من ثيودور حتى يصبح للعنصر اللاتينى التفوق والغلبة فى هذه المنطقة .

---

(1) Recueil des historiens des Gaules et de la France, ed. Bouquet, direxieme edition, 1879, PP. 530-533.

لكن جهود هنرى ذهبت ادراج الرياح ، ولم يجد أى استجابة من الغرب الاوروبى ، وفى النهاية تم عقد اتفاقية بين هنرى وثيودور لاسكاريس فى مدينة Nymphaeum فى ديسمبر عام ١٢١٤ تم بمقتضاها تحديد الحدود بين الطرفين ، فاحتفظ اللاتين بالركن الشمالى الغربى من اقليم بيثينيا ، أى انهم اكتسبوا شريطا ساحليا آسيويا لبحر مرمره ورقعة هامة ممتدة على طول البحر الايجى ، واصبحت مدن Nicomedia, Cyzicus, Pega, and Adramyttium .

أما الجانب النيقى فقد أخذ نيقية ، بروسا ، والأقليم الواقع خلف Adramyttium ويمتد حتى Smyrna . وترك لنيقية حرية امتلاك أية اراضى جديدة على حساب السلطنة السلجوقية ، أو على حساب الجيران الآخرين . كذلك نص على عدم حصار القسطنطينية بحرا بواسطة اسطول ثيودور لاسكاريس[1] .

وهكذا اعترف كل من الامبراطورين اللاتينى هنرى واليونانى ثيودور بحق كل منهما فى البقاء ، واوقفوا محاولات تدمير كل منهما لمنافسه ، ونشأ توازن فى القوى فى هذه المنطقة . وقد بدأ ثيودور يلتفت الى اعدائه الآخرين المجاورين له فى آسيا الصغرى ، ونتيجة للسلام النيقى اللاتينى كان انهيار قوة آل كومنين على شواطىء البحر الأسود .

ذلك أن دافيد كومنين الذى كان قد أصبح فصلا لامبراطور القسطنطينية اللاتينى وبالتالى تحت حمايته ، قد ترك بعد هذه المعاهدة بين هنرى وثيودور ، لموارده الخاصة وللاعتماد على نفسه دون مساعدة الامبراطور اللاتينى . وهكذا أصبح غير قادر على الوقوف وحده فى وجه امبراطور نيقية . وفى نفس عام ١٢١٤ ، استولى ثيودور لاسكاريس على كل ما يمتلكه آل كومنين غرب سينوب بالإضافة الى هرقلية واماستريس Amastris وبذلك بدأ نفوذ ثيودور لاسكاريس يظهر على الساحل الجنوبى للبحر الأسود ، بعد أن أوجد لنفسه منفذا على هذا البحر ، وهذا بطبيعة الحال لم يرض اللاجئة الذين دخلوا فى صراع مع آل

(1) George Acropolitae opera, PP. 27-28.
Bréhier, Vie et mort de Byzance, PP. 308-309.
Ostrogorsky, Op. cit., P. 430.

كومنين واحتلوا سينوب ، وهزموا وقتلوا دافيد ، وأسروا شقيقه اليكسيوس ، وعندئذ اعادوه على عرش طرابيزون ،فصلا لسلطان قونيه السلجوق يدفع له الجزية السنوية[1] .

وفى اغسطس عام ١٢١٩ عقد لاسكاريس هدنة لمدة خمس سنوات مع الحاكم البندق بالقسطنطينية The Padesta of the Venetian Colony of Constantinople ويدعى يعقوب تيبولو Jacob Tiepolo الذى خلف هنرى داندولو بعد وفاته فى عام ١٢٠٥ ، احيا بمقتضاها التقليد البيزنطى القديم الخاص باعفاء التجار البنادقة من دفع الرسوم الجمركية فى اراضى امبراطورية نيقية وفتح الحدود بين الطرفين للتجارة ، وتعهد ثيودور بعدم حصار القسطنطينية بحريا[2] .

وهكذا عادت الهدنة بين هنرى وثيودور بالفائدة على امبراطورية نيقية التى تمتعت اثناء هذه الهدنة بالأستقرار والرخاء ، بينما اخذت امبراطورية القسطنطينية اللاتينية فى التدهور والاضمحلال ، وخاصة بعد وفاة الامبراطور هنرى فى عام ١٢١٦ .

وقد وجد ثيودور لاسكاريس أن محاولاته العسكرية لم تفلح فى استرداد العاصمة القسطنطينية من يد اللاتين ، لذلك لجأ الى طريق آخر عله يحقق بواسطته ما عجزت القوة العسكرية عن تحقيقه ، ودل هذا على سعة ادراك وحسن سياسى ممتاز ، فقد تجاوز ثيودور حاجز العداء السياسى بينه وبين اللاتين ، ولجأ الى طريق المصاهرة مع الأسرة الحاكمة فى القسطنطينية ، حتى يؤول الى اسرته عرش بيزنطة عن طريق الميراث فى يوم ما ، وهو ما يطلق عليه اسم (زواج التحالف) Intermarry .

وتفضيل ذلك، انه بعد وفاة الامبراطور اللاتينى هنرى فى عام ١٢١٦ ، وقع اختيار البارونات على زوج شقيقته بطرس اوف كورتناى Peter of Courtenay الذى كان

(1) Ostrogorsky: Op. cit., P. 413.
Nicol: Op. cit., P. 300-301

(2) Ostrogorsky: Op. cit., P. 431
Nicol: Op. cit., PP. 300-301

حينئذ بفرنسا ، ليحل محله على عرش القسطنطينية ، وفى بداية عام ١٢١٧ خرج بطرس من الأراضى الفرنسية فى طريقه الى القسطنطينية ، وتوقف فى روما ليستلم تاجه من البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦ــ١٢٢٧) الذى توجه فى سان لورنزو خارج اسوار روما فى ٩ ابريل ١٢١٧ ، وبعد ذلك اتخذ طريقه الى القسطنطينية عن طريق البر مصحوبا بالمندوب البابوى وجيش مكون من ٥٥٠٠ جنديا ، اما زوجته يولاند Yoland فقد واصلت رحلتها الى القسطنطينية عن طريق البحر ، ونجح بطرس وجيشه فى استعادة ديراخيوم Dyrrachium من ثيودور دوقاس حاكم ابيروس ، وواصلوا سيرهم برا الى القسطنطينية ، لكنه لم يقدر لبطرس أن يصل الى القسطنطينية ، حيث انه اختفى فى الطريق ، بينما وصلت زوجته يولاند للقسطنطينية ، وهناك واجهتها مشكلة الحكم ، وقد رفض ابنها الأكبر ويدعى فيليب أن يترك فرنسا ، أما ابنها الثانى بلدوين فكان صغير السن فآل العرش اليه وحكمت يولاند كوصية عليه لمدة سنتين . وكان ليولاند ابنتان تزوجت احداهما وهى Agnes من جيوفرى فيلهاردوين الثانى وريث عرش مملكة أخيا ، وقد وجدها ثيودور لاسكاريس فرصة مناسبة ليتزوج ابنتها الثانية مارى Mary ، وخاصة وأنه كان بلا زوجة بعد انفصاله عن زوجته الثانية[1] . وبالفعل تم زواجه وللمرة الثالثة من مارى ابنة يولاند ، وابنة اخت أول امبراطورين لاتينين توليا عرش القسطنطينية[2] .

وهكذا ارتبط ثيودور لاسكاريس برابطة المصاهرة مع البيت الحاكم فى القسطنطينية ولم يكتف ثيودور بذلك وإنما سعى لزواج ابنته من امبراطور القسطنطينية ذلك أن بلدوين تولى العرش بعد وفاة والدته فى عام ١٢١٩ باسم

---

(١) الزوجة الثانية لثيودور الأول لاسكاريس كانت احدى الاميرات الارمينيات ، ولكن الزواج لم يستمر سوى عام واحد وانتهى بالطلاق ، راجع :

Georgii Acropolitae opera, P. 27.

(2) Georgii Acropolitae opera, PP. 27, 31.

(٣) حكم ريمون روبن كونتاى من ٢٢١ ... ١٢٢٠ ، ثم عاد بلدوين الثانى للحكم من ١٢٢٨ــ١٢٦١ وهو

بلدوين الثانى ، وحكم حتى عام ١٢٢١ ، ثم تولى الحكم شقيقه روبرت أوف كورتناى Peter of Courtenay فى ٢٥ مارس عام ١٢٢١/٢٢٠(١) . وقد سعى ثيودور لاسكاريس لزواج ابنته Eudociia من روبرت اوف كورتناى ، وظلت المفاوضات جارية بين الطرفين بشأن هذا الزواج حتى حالت وفاة ثيودور فى عام ١٢٢٢ دون اتمامه .

وهكذا وضعت الخاتمة لحياة هذا البطل الذى قدر له أن يشهد مرارة الظروف ، وصعوبة الموقف الخاص بسقوط القسطنطينية فى يد الغزاة اللاتين .

= حتى امبراطور لاتينى يتولى عرش القسطنطينية . علما بان جنادى بوم حكم فاتيا عن بلدوين فى الفترة ما بين ١٢٣١ ــ ١٢٣٧/٣٦ . المترجم

(1) Ostrogorsky, op. cit., P. 367

الخاتمـــــة

استعرضنا على امتداد هذا البحث ، الدور الذى لعبه ثيودور الأول لاسكاريس وجهوده العسكرية والسياسية من أجل الصمود فى وجه اللاتين ، ومقاومتهم ، واتخاذه لبروسا ثم نيقية مركزا لجمع العناصر البيزنطية المشتتة ، وقاعدة لنضال الشعب البيزنطى ضد المغتصبين اللاتين .

وفى تقييم الدور الذى لعبه ثيودور لاسكاريس ، يمكن القول أنه لم يدخر جهدا عسكريا أو سياسيا فى سبيل العمل على استرجاع العاصمة القسطنطينية من يد اللاتين . ويدين البيزنطيون لثيودور ، وباعتراف مؤرخيهم ، باحياء الامبراطورية البيزنطية من جديد ، رغم الصعوبات الجمة التى قابلها ، ورغم تعدد الاعداء المحيطين به . وفى وسط هذا كله ، اكتسب الاعتراف به كزعيم للهللينية . وقد ارسى ثيودور القواعد الأساسية للحكم فى نيقية ، تلك القواعد التى سار عليها خلفاؤه من بعده حتى تمكنوا من استعادة العاصمة الأم فى عام ١٢٦١ .

فمن حيث اختيار المكان الذى يتخذه مركزا وقاعدة لحركة المقاومة ضد اللاتين ، كان هو الذى اختار مدينة نيقية فى آسيا الصغرى ، وكان هذا الاختيار مناسبا وموفقا للغاية نظرا لقرب نيقية من العاصمة القسطنطينية ، مما هيأ له اقلاق راحة الامبراور اللاتينى ، وجلب له المتاعب المستمرة على النحو الذى سبق أن تعرضنا له ، وهيأ للبيزنطيين سرعة الحركة حينما سنحت لهم الظروف لاسترداد العاصمة القسطنطينية فى عام ١٢٦١ بخلاف الحال اذا ماكان وقع اختيار ثيودور على مكان آخر بعيد .

ورغم صعوبة الظروف وقلة الموارد إلا أنه تمكن من اعداد وتنظيم جيشا واسطولا كانا اساسا للقوة العسكرية لامبراطورية نيقية البيزنطية ، تلك القوة التى احرزت الانتصار على الاعداء سواء فى عصر ثيودور نفسه أو فى عصور ما تلاه من اباطرة .

وقد حاول ثيودور بقدر المستطاع أحياء النظم العسكرية البيزنطية التى وجدت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، واعتمد على الجنود المرتزقة كعادة البيزنطيين دائما ، فاستعان بالجنود المرتزقة من عناصر الجرمان ، الاتراك ، الأرمن ، بل ومن اللاتين انفسهم[1] .

ومن الصعب تقدير عدد الجيش فى عهد ثيودور ، وأن كان يفهم مما أورده المؤرخان اكروبوليتيس وجريجوراس ان عدد الجيش النيقى فى معركة انطاكية مع السلاجقة فى عام ١٢١١ كان حوالى العشرين الفا ، منهم ثمانمائة فقط من المرتزقة اللاتين[2] .

وفى بداية عهده كان يعهد بقيادة الجيش الى أحد الاشخاص المقربين اليه ، ولكن فى الغالب كان ثيودور يقود الجيش بنفسه ، كما فعل فى معركة انطاكية مع الاتراك السلاجقة وغيرها من المعارك مع اللاتين[3] .

وفى أواخر عهد ثيودور لاسكاريس بدأ يظهر منصب الدمستق الأعظم ، وعهد به الى اندرونيكوس باليولوجوس Andronikos Palaiologos وهو والد الامبراطور ميخائيل باليولوجوس ، وقد استمر اندرونيكوس فى هذا المنصب حتى وفاته فى عام ١٢٤٧[4] .

أما عن الاسطول فقد حاول ثيودور تكوين اسطول لنيقية منذ البداية ، وقد جمع ثيودور اسطولا صغيرا كان مقره بحر مرمره ، وفى البداية كان لا يزيد عن ١٢ مركبا Vessel ، وبالطبع كان محدود النشاط ، ثم استطاع ثيودور بعد ذلك أن يجمع اسطولا مكونا من سبعة عشرة سفينة Galleys ، وعهد بقيادته الى Escurion الذى كان قائد للأسطول فى عهد الامبراطور اسحاق الثانى انجيلوس[5] .

---

(1) Georgu Acropolitae opera, I, P. 16, 11, PP. 6-8, 16-20.
Gregoras: Historiae Byzantinae, I, P. 18, 11, PP. 17-18.
(2) Georgu Acropolitae opera, I, P. 116, 11, PP. 6-8, 16-20.
Gregoras: Hist. Byz. I, P. 38, 11. PP. 17-20.
(3) Georgu Acropolitae opera, I, P. 29, 11, PP. 4-5.
(4) Gregoras: Historiae Byzantinae, I, P. 69, 11, PP. 11-12
(5) Nicetas choniates: Historia, PP. 636-637

وقد جاء ذكر للاسطول البيقى فى عهد ثيودور لاسكاريس فى المعاهدة التى ابرمت بينه وبين اللاتين فى عام ١٢١٤ ، وفى الأتفاقية التى وُقعت بينه وبين البنادقة فى عام ١٢١٩ ، وكان بهما نصا خاصا بعدم مهاجمة أو حصار اسطول ثيودور لمدينة القسطنطينية على النحو الذى تم توضيحه من قبل . وكان هذا الأسطول هو نواة الأسطول الكبير الذى امتلكته امبراطورية نيقية البيزنطية فى عهودها التالية ، والذى احرز الانتصارات البحرية فى عهد يوحنا فاتاتزيس (١٢٢٢ــ١٢٥٤) خليفة ثيودور الأول وزوج ابنته ايرين ، تلك الانتصارات التى اسفرت عن الاستيلاء على العديد من الجزر الهامة فى البحر الايجى مثل جزر لسبوس ، خيوس ، ساموس ، ايكاريا ، كوس وغيرها ، وادخالها تحت سيادة امبراطورية نيقية البيزنطية[1] .

هذا وقد آمن ثيودور ايمانا عميقا بقيمة الكهنوت كقوة سياسية وقومية ، لذلك فقد اسس البطريركية فى عاصمته نيقية ، وأيد جهود البطريرك من أجل اتحاد الكنائس اليونانية . وقد اثمرت جهوده فى هذا المجال ونظر الى امبراطورية نيقية من جانب العناصر الموجودة فى شبه جزيرة البلقان كوريثة لبيزنطة ومركز الارثوذكسية ، وعلى سبيل المثال ، فقد تجاهل ساڤا Sava ابن ستيفن فيمانيا Steven Nemanja ابرشية اوخريدا Ochrida التى تخضع لها الكنيسة الصربية ، واتجه الى نيقية ، وفى عام ١٢١٩ رسمه بطريرك نيقية رئيسا لاساقفة الصرب[2] . وهكذا اصبحت لبطريركية نيقية وبطريركها المكانة الأولى فى الصلوات فى الكنيسة الصربية وكان هذا علامة ظاهرة على نمو الاحترام لامبراطورية نيقية البيزنطية .

وقد حرص ثيودور على أن تتم مراسم تتويجه فى نيقية على يد البطريرك ، وبذلك اكتسب الصفة الشرعية للحكم ، خاصة وأن رجال الدين البيزنطيين ، وعلى رأسهم بطريرك القسطنطينية كانوا قد سبق لهم أن اختاروه امبراطورا شرعيا قبل سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين فى عام ١٢٠٤ . وبذلك أضفى ثيودور على

(1) Georgii Acropolitae opera, I, 88, 11, 12-14.
Gregoras: I, PP 28-29.
(2) Ostrogorsky: Op. cit., P. 431.

خلفائه من اباطرة بقية هذه الصفة الشرعيه ، واعتبرهم الشعب البيزنطى الاباطرة الرسميين لهم وذكرهم المؤرخون البيزنطيون فى قائمه الاباطرة البيزنطيين مثلهم مثل الاباطرة الذين حكموا فى بيزنطة نفسها وذلك بخلاف اباطرة طرابيزون أوايبروس

وقد اعجب الفرنجة بشجاعة ثيودور ومهارته العسكرية والسياسية ، فقد كان يمتلك الجرأة فى كلا المجالين ، واستفاد من فرص ضرب عنصر بآخر كما فعل مع البلغار واللاتين ، واستخدم البلغار لخدمة نضاله ضد اللاتين وتحريكهم فى الوقت المناسب لهذا الغرض .

والمعروف أن الامبراطور ميخائيل باليولوجوس هو الذى استرد القسطنطينية فى عام ١٢٦١[1] ، ولكن الفضل فى استرداد القسطنطينية فى عام ١٢٦١ لا يرجع الى ميخائيل باليولوجوس وحده ، فلا يمكن بأى حال من الأحوال اغفال جهود اباطرة بقية السابقين له ، وخاصة مؤسسها ثيودور الأول لاسكاريس . وكما هو معروف فان استعادة القسطنطينية فى عام ١٢٦١ لم يكن بناء على حرب خاضها ميخائيل باليولوجوس ، وإنما كانت بدافع من الشعور القومى للقوة الاستكشافية الصغيرة التى كلفت برصد حركات البلغار ، فوجدت امكانية استرداد العاصمة الأم فلم يتوان أفرادها عن القيام بواجبهم فى هذا الصدد[2] ، وكان المحرك والدافع الأول لهذه القوة الصغيرة هو الشعور القومى الذى حافظ عليه وغاه ثيودور الأول لاسكاريس وليس بناء على أوامر عسكرية صدرت اليها من الامبراطور ميخائيل باليولوجوس لاسترداد العاصمة ولو لم يحافظ ثيودور على هذه الروح القومية ويعمل على تنميتها واحياء التقاليد البيزنطية العريقة ، ويرسى قواعد الحكم فى نيقية على أساس رفع راية النضال ضد اللاتين ، لانتهت القضية البيزنطية واندثرت بعد أن خرجت امارتا

(1) Vasiliev: Op. cit., Vol. II, P. 507
Brehier: Vie et mort de Byzance. PP 318-321.
Ostrogorsky: Op. cit., PP 448-449.

(2) Nicol: The Fourth Crusade and the Greek and latin Empires, 1204-1261. PP. 327-328.
Ostrogorky: Op. cit., P. 449.
Brehier: Vie et mort de Byzance. PP 320-321

ابيروس وطرابيزون من حلبة الصراع حول استرداد القسطنطينية من يد اللاتين ، وشغلتا بمشاكلهما المحلية عن تحقيق هذا الهدف القومى

وهكذا يمكننا القول ، ونحن مطمئنون تماما ، أن امبراطورية نيقية البيزنطية ، كانت بمثابة الجسر الذى عبر عليه الشعب اليونانى الأرثوذكسى ، من عصر السقوط فى عام ١٢٠٤ الى عصر الاسترداد فى عام ١٢٦١ ، من عصر الانهيار الى عصر القوة ، من عصر الهزيمة الى عصر الانتصار ، من عصر الغربة والضياع والتشرد ، الى عصر الامان والانتماء والاستقرار فى أحضان الأم الحنيبة القسطنطينية .

ومما لاشك فيه أن الفضل فى ذلك كله يرجع والى حد كبير الى مؤسسها ثيودور الأول لاسكاريس ، الذى استحق عن جدارة هذه الكلمات الصادقة التى رثاه بها فى حفل تأبينه ، الشاعر المؤرخ ورجل الدين ميخائيل اكومينياتوس ، تلك الكلمات التى توضح بجلاء مكانة ثيودور لاسكاريس فى نفس ووجدان الشعب البيزنطى ، قال اكومينياتوس[1] :

« هاجم البرابرة العاصمة بعنف ، واغرقوا اسوار بيزنطة حتى شواطىء آسيا الصغرى فى شكل شظى يائس . وقد تسلحت بك من أجل الأرشاد والأنقاذ .

أنت يجب أن تسمى الى الأبد ، المؤسس الجديد ، والمعمر لمدينة قسطنطين . ينظرون اليك ، أنت فقط ، ويطلقون عليك اسم المخلص والمحرر العام ، للشعب الغارق فى الطوفان الجارف .

اتخذوا دولتك ملجأ يلوذون به ، كما يلوذون بمرفأ الأمان . لا أظن أن أحدا من الأباطرة الذين حكموا القسطنطينية يتساوى معك ، فيما عدا باسيل العظيم سفاح البلغار ، ومن قبله هيراقليوس » .

(1) Michael Acominatus, ed Campros, PP. 150-151 in Greek.

المصـــادر والمراجـــع

References

1 - Allen: A History of the Georgian People, 1932.

2 Angold: A Byzantine Governement in Exile, 1204-1261, Oxford, 1975.

3 - Barrachough (G.): The Medieval Papacy, London, 1975.

4 - Brehier (L.): Vie et mort de Byzance, ed. Albin Michel, Paris, 1969.
La Civilisation Byzantiine ed. Albin Michel, Paris, 1970.
L'institutions de L'empire Byzantine, ed. Albin Michel, Paris, 1970.

5 - Choniates (N.): Historia, ed Bekker, in corpus scriptorun Historiae Byzantinae, Bonn, 1935.

6 - Clari (R.): La Conquete de constantinople, editée par Iauer, Paris, 1924.

7 - Diehl (ch!): Une Republique Patricienne, Venise (Bibliotheque de philosoph Scentirique), 1928.

8 - Foord: The Byzantine Empire, London, 1911.

9 - Gardner (A.): The Iascarids of Nicaea, London, 1912.

10- Gelzer (H.): Abriss der Byzantinischen Kaisergeschichte, Munich, 1897.

11- Georgu Acropolites, Opera, ed. Heisenberg, Leipzeg, 1903.

12- Gibbon (E.): The decline and Fall of the Roman Empire, 6 Vols, New York, 1976.

13- Glykatzi-Ahrweiler: "La politique agaire des Empereurs de Nicée" dans la Revue de (Byzantion), tome XXV 111, Brux elle, 1958.

14- Gregoras (N.): Historiae Byzantivae, ed. Weberi, Bonn, 1829.

15- Grousset (R.): Histoire des croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, Paris, 1956.
L'emfire des Steppes, 1945.

16- Guillon: La civilasation Byzantine, Arthand, Prais, 1974.

17- Hussey (J.): The Byzantive World, London, 1967

18- The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, U.S.A. 1980.

19- Labis: Histoire de France, Paris, 1976.

20- Lexi Con Universal Encyclopedia, Lexicon Publication, Inc. New York, 1983, 21 Vols.

21- The Lincoln Library of Essential Information, The Frontier press Company, Columbus, Ohio, U.S.A. Thirty Ninth Edition, 1978.
22 Magie: Roman Rule in Asia Minor, 2 Vols, 1975.
23- Miler: The Empire of Nicaea and the recovery of Constantivople in C.Med.H. ed. Bury, Vol, IV, Cambridge, 1923.
Imferial Constantinople, U.S.A. 1969.
24- Nicol (D.): The Fourth crusade and the Greek and latin Empires, 1204-1261, in C.Med.H. Vol, IV, Part, ed. Hussey, Cowbridge, 1975.
Byzantium, its ecclesiastical history and relations with the western world, London, 1972.
25- Neumann (C.): "Die Byzantinische Marine", Historische Zeitschrift, LXXX, 1, 1898.
26- Ostrogorosky: History of the Byzantine State, English trans. by Hussey, Oxford, 1968.
27- Painter (S.): A History of the Middle Ages, New York, 1954.
28- Pears (E.): The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade, New York, 1975.
29- Runciman (S.): The History of the crusades, Vol. 3, Combridge university Press, 1966.
The Byzantine Theocracy, Combridge University Press, 1977.
30- Tessier (J.): La quatrieme croisade, la division sur Zara et Constantinople, la rowx, Paris, 1884.
31- Ushensky: The Formation of the Second Kingdom of Bulgaria, Odessa, 1879.
32- Vosiliev: History of the Byzantine Empire (324-1453), U.S.A. 1971.
33- Villehardouin (G.): La Conqueste de Constantinople par les Barons Francais associez que Venitians L'an 1204. English Transl. by Sir Marzials, London, 1965.
34- Walter: La Ruine de Byzance (1204-1453), ed. Albin Michel, Paris, 1958.
35- Whitting (Ph.): Byzantium, Oxford, 1981.
36- Wolff (R.): Studies in the latin Emprie of Constantinople, London, 1976.